المسرح الرمزي: **مدرس المادة: د. عمر جنداري**

تعود بدايات الرمز كوسيلة للتعبير ونقل الأفكار إلى بدايات الإنسان البدائي، والتصوير على جدران الكهوف لم يكن للمتعة الجمالية الحسية بل كان ذا مغزى رمزي هو السيطرة والقوة إذ يستولي على الأشياء من خلال الصورة، وبتطور الإنسان إلى مرحلة أكثر تطوراً بدأت مع الزراعة والإنتاج والخصب والقوى التي تقف وراء هذا بدأ المجتمع بالتكون وحلت الحروف كتعبيرات رمزية محل الرسوم القديمة.

والرمز في أبسط صوره هو علامة أو إشارة – قد تكون صورة أو كلمة أو نغمة– لها دلالة معروفة أو معنى معين في مجال التجربة الإنسانية المحسوسة والمتوارثة، وربما كانت اللغة الهيروغليفية التي تعتمد على الصور أوضح مثال على الرمز في هذا التعريف البسيط، وللرمز نوعان: الرموز الجماعية المتوارثة وهي ما اسماها العالم النفسي (يونج) بالرموز الفطرية التي تنتمي الى الوجدان البشري الجماعي، وهناك الرموز الفردية التي ترتبط بوجدان فرد بعينه وتكون نتاج تجاربه الخاصة، والتي تتمثل في الحياة اليومية في عادة التفاؤل والتشاؤم من أشياء تختلف من شخص لآخر، لذلك كان عالم المعاني الغير مألوفة هو العالم الذي تصدى الرمزيون للتعبير عنه واستخدموا لغة تنتقى منها الدلالة المباشرة وتعتمد أساساً على الموسيقى والايحاء.

والرمز في الفن هو وسيلة للتعبير عن زوايا غامضة في النفس، والفنان في الرمزية يحاول أن يبين سلسلة من المعاني والمستويات العميقة من العواطف والوجدان عن طريق الإشارة النفسية لاعن طريق التسمية والتصريح، وقد ظهرت الرمزية في فرنسا أولاً ثم انتشرت في أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر حيث نشأت الرمزية كرد فعل على الواقعية والطبيعية، والرمز وسيلة لتجسيد وتوصيل التجربة الفنية في صورة مكثفة ومركزة، والمدرسة الرمزية تختلف عن غيرها من المدارس الأدبية المسرحية فهي لم تنشأ دفعة واحدة ولم تكن لها مبادئ محددة معلنة منذ البداية بل ظهرت في مراحل زمنية متتالية، واذا اردنا الحديث عن المسرح الرمزي لانطلقنا من الشاعر الفرنسي (مالارميه ١٨٤٢–١٨٩٨) والذي ابدى منذ بداية حياته الفنية اهتماما كبيراً بالمسرح يماثل اهتمامه بالشعر، فلقد تصور (مالارميه) لغة مسرحية جديدة تتحرر من قواعد تركيب الجمل المعروفة وتمتزج فيها الصورة بالحركة لتعبر تعبيراً رمزياً عن الحياة الداخلية والنفسية في اطار مسرحي شعري، تخاطب فيه اللغة الخيال وتعمل على تجسيد الاحلام والخيالات بل والصمت ايضاً تجسيداً شعورياً وذلك لخلق جو من الغموض، كذلك هاجم (مالارميه) الحركة على المسرح التقليدي وقال بان الحركة المسرحية لابد ان تكتسب طابع الحركة الطقسية وان تتم فقط في حدود الضرورة.

ومن بعض المبادئ أو الأفكار التي كونت النظرية الجمالية لما يعرف بالرمزية هو:

١- رفض محاكاة الطبيعة الملموسة ورفض مظاهر الحياة وتفضيل روحها الممثلة رمزياً.

٢- إدراك الحقيقة ليس عن طريق العقل وإنما عن طريق الخيال القادر على استنباط المعاني الرمزية الكامنة في الظواهر الحسية.

٣- الإيمان بضرورة الاعتماد على الإيحاء بدلاً من الإشارة المباشرة.

٤- كل عمل فني هو تركيبة رمزية تقوم على عرض مشاعر وأحاسيس روحية.

٥- تلعب الإضاءة دور مهم في عروض المسرح الرمزي، ويقترب الشعر فيها من الموسيقى.

٦- يعتبر الممثل الوسيط الذي يحمل كلام الكاتب/ المخرج ويعد الممثل الفرنسي (أورليان لونيه بو) أول من قدم ما يعرف بالأداء التمثيلي الرمزي.

٧- استخدام لغة تعتمد على الصور والاستعارات الغريبة وتتداعي الأصوات والمعاني وذلك حتى يتمكن الفنان من تجسيد رؤى ومشاعر وحالات نفسية غير مألوفة.

٨- يعتبر الكاتب البلجيكي (موريس ميترلنك١٨٦٢- ١٩٤٩) أهم كتاب المسرح الرمزي حيث نادى بضرورة ايجاد نوع جديد من الدراما تعتمد على تصوير المشاعر والرؤى الداخلية التي لا تتبلور الا في لحظات الصمت وانعدام الحركة الخارجية، وقد حاول (ميترلنك) في مسرحياته مثل: (بلياس وميليساند) و(العميان) و(الدخيل) و(الاميرة مالين) و(الطائر الأزرق) وغيرها ان يخلق هذا النوع الجديد من الدراما، ففي تلك المسرحيات تتعطل الحركة الخارجية لينتقل الحدث الى داخل الوجدان، حيث حاول ميترلنك خلق مسرح يعتمد على تصوير المشاعر والرؤى الداخلية التي لا تظهر إلا في لحظات الصمت وانعدام الحركة الخارجية، كذلك نجد الكاتب السويدي (سترندبرج) قد انتقل من مرحلة الطبيعية في مسرحياته (الأب) و(مس جوليا) إلى التعبيرية في مسرحية (حلم) و(الطريق إلى دمشق) ليرتبط أخيراً بالرمزية في مسرحية (سوناتا الشبح).

٩- كانت نصوص المسرح الرمزي صعبة التحقيق على الخشبة في البداية، لذلك أرتبط إخراجها بأسماء مسرحيين تجريبيين مثل المخرج والمصمم السويسري (أدولف آبيا) الذي استخدم الإضاءة كبديل عن الديكور في بعض عروضه، والمخرج الإنكليزي (جوردن كريج) واللذين كانوا من إتباع المسرح الرمزي ومؤيديه في تأسيس عروضهم المسرحية.